جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة واسط
مجلة واسط للعلوم الإنسانية

Republic of Iraq
MINISTRY of HIGHER EDUCATJON
SCIENTIFIC RESEARCH
WASSIT UNIVERSTY
Wasit Journal for Humanities

العدد: ٦٠
التاريخ: / ١٢ /٢٠٢٢ الترقيم الدولي للبونسكو ١٢-٠٥١٢-١٨١٢
رقم شهادة معامل التأثير ٢٠١٨-٢٦٥ لسنة ٢٠١٧

قبول بحث للنشر

الباحثة - أصيل شهيد حمود المحترمة
أ.م.د- صلاح حسون جبار المحترم
تدارست هيأة التّحرير بحثكم الموسوم بـــ

الخبرُ والأقوالُ المأثورةُ في كتابِ(المجالس)لثعلب(ت٢٩١هـ)
دراسةٌ في مقاصد التوظيف

وبعد الاطلاع على آراء الخبراء ، قررت هيأة التحريران يكون البحث :

- [x] صالحا للنشر
- [ ] صالحا للنشر بعد إجراء التعديلات المرافقة والنظر في نشره
- [ ] الاعتذار عن نشره كونه غير صالح للنشر

أ. د- جعفر باقر محمود علوش
رئيس- هيأة التحرير
/ ١٢ /٢٠٢٢

IRAQI
Academic Scientific Journals

نسخة منه الى/
مجلة واسط - امانة التحرير مع الاوليات

الخبرُ والأقوالُ المأثورةُ في كتابِ(المَجالِس)لثعلب(ت291هـ)
دراسةٌ في مقاصدِ التّوظيفِ

أ.م.د صلاح حسون جبار
كلية الآداب/جامعة القادسية
salah.jabbar@qu.edu.iq

أصيل شهيد حمود
كلية الآداب/جامعة القادسية
art.ar.mas.20.1@qu.edu.iq

الملخص:

لم يخرج ثعلب في مقاصده للخبر عن المقاصد في مؤلفات النثر العربي القديم ولم يخرج عن دائرة الاهتمام الثقافي والفكري الذي كان سائداً في عصره الذي عاش فيه، إلا أنه انتقى اخباراً ذات مقاصد هادفة طالباً من ورائها تحقيق غايات علمية أو وعظية ارشادية او تاريخية او حِجاجية، في المقصد الحجاجي وظيفته الإقناع عبر المنظومة الجدلية والمنطقية، والمقصد التفسيري صبَّ جهده في هذا المقصد على تفسير الغريب اللغوي سواء في الأخبار أو الأقوال، أما المقصد الاشهاري حيث إن النص الاشهاري يمر بجمله من الاقنية التي توظف أساليب اللغة لإنتاج دلالات إقناعية ليأخذ بها المتلقي مركزية النص، وبهذا تتحقق وظيفة الإشهار، وأخيراً المقصد الوعظي فهو يعتمد على الوعظ والإرشاد والترغيب والترهيب، هدفه من هذا التأثير في قلب السامع ليصل إلى تحقيق الغرض المتوخى منه .

الكلمات المفتاحية : الخبر، الأقوال المأثورة، المجالس لثعلب، مقاصد التوظيف.

Abstract

In his intentions, Tha’lab did not go out of his intentions to tell the news about the purposes in the writings of ancient Arabic prose, and he did not leave the circle of cultural and intellectual interest that was prevalent in his time in which he lived, except that he chose news with purposeful purposes, asking behind them to achieve scientific, exhortation, historical, or pilgrimage goals. In the argumentative purpose, its function is persuasion through the dialectical and logical system, and the explanatory intent has poured its effort into the interpretation of the linguistic strange, whether in news or sayings. Thus, the function of publicity is achieved, and finally the preaching purpose is based on exhortation, guidance, encouragement and intimidation.

Keywords: news, sayings, Tha’lab Majalis, employment purposes.

المقدمة:

إنّ كتاب المجالس لأبي العباس ثعلب يُعدّ أحد الكتب التراثية العربية التي جمعت بين ثناياها ذخائر لغوية وأدبية، وفي الجانب الأدبي اتجه البحث إلى تتناول مَقاصد توظيف الأخبار والأقوال المأثورة في هذا الكتاب، فقد وظف ثعلب اختياره للخبر والاقوال المأثورة لتوجيهها وفقاً لمقاصد محددة، تكشف الغاية من اختيارها، وهي مقاصد لا تخرج عن السياق الثقافي والفكري الذي كان سائداً، إذ حرص ثعلب على جعل مجالسه قائمة على التداول المعرفي وتدوينه، عبر اعتماد مقاصد عدة، لنا أن نقف منها على المقصد: الحجاجي والتفسيري والإشهاري والوعظي، التي سنتناولها تنظيراً وتمثيلاً بنماذج نثرية مقصودة بالدراسة.

اولاً) المقصد الحِجاجي :

يرتكز الحِجاج في مفهومه اللغوي والاصطلاحي على استعمال الحجج والبراهين وتوظيفها لغاية اقناعية، فعلى مستوى المعنى اللغوي نجد ان الحجة والبرهان هو الأساس المعجمي للحِجاج وتوظيف هذه الحجج والبراهين بقصد الاقناع[1]، ولا يبتعد المفهوم الاصطلاحي عن هذا المعنى، فنجد انه استعمال اللغة كحاصل نصي ليؤدي وظيفة اقناعية[2]، وهو بين هذين المفهومين، يقوم على بنية جدلية تتشكل في النص الادبي بفعل توظيف الحجج بوصفها((فعلاً مشتركاً بين المتكلم والمستمع، جامعاً بين توجيه الأول وتقويم السامع))[3]، وما لذلك التوظيف من استثمار الطاقة التعبيرية الكامنة فيه لإقناع الآخر.

وقد جاء هذا المقصد في مجالس ثعلب محققاً وظيفته الاقناعية، عبر منظومته الجدلية والمنطقية، والتي جاءت على وفق قوالب لغوية يحقق بعدها الحجاجي هوية النص وخصوصيته الاقناعية، وهذا ما نجده في الخبر الآتي: ((**قال: وقال إياس بن معاوية: كنت في مكتب في الشام، وكنت صبيا، فاجتمع النصارى يضحكون من المسلمين، وقالوا: إنهم يزعمون أنه لا يكون ثفل[4] للطعام في الجنة. قال: قلت: يا معلم، أليس تزعم أن أكثر الطعام يذهب في البدن؟ فقال: بلى. قال: فقلت فما تنكر أن يكون الباقي يذهبه الله في البدن كله. فقال أنت شيطان**))[5]، تعتمد البنية الحجاجية في الخبر على توظيف اللغة واستثمارها، فجاءت البنية الحجاجية قائمة على أسلوب الاستفهام بوصفها بنية اتصالية منبثقة من حجة النصراني ذاتها، اذ وجد إياس في قول النصراني(اكثر الطعام) منفذاً يمكن النفاذ منه لإبطال استدلال النصراني، فمعنى(اكثر)

يدل على بقاء جزء من الطعام لا يذهب في البدن، وهذا يستلزم ان يكون بعضاً من الطعام لا يذهب فيه، وقد التقط إياس هذه الدلالة اللغوية ووظفها في حجاجه الذي أدى الى اقناع النصراني بلحاظ قوله(انت شيطان)، وهو ما يعني اذعان لما ذهبت اليه حجة إياس، وهو ما جعل الحجاج حجاجاً منتجاً لان ((انجع الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها عند المتلقي او المستمع، بشكل يحمله على المطلوب إنجازه، او الامتناع عنه وتحقيق الامتناع في منطقة وسطى بين الاستدلال والاقناع))[6].

وقد تمتد البنية الحجاجية لتشمل خطاباً شعرياً، يجد المتكلم به منفذا لحجته في اسكات الآخر، ودحض حجته عبر توظيف تقنيات الحجاج القائمة على تفنيد حجة الآخر، وتحويلها الى خطاب موجه للآخر المستمع، وهذا ما نجده في الخبر الآتي: ((**حدثنا أبو العباس، حدثني عمر بن شبة قال حدثني ابن أقيصر، قال: حدثني يحيى بن عروة قال: لما قدم الفرزدق المدينة أتى مجلس أبي، فأنشده الأحوص شعراً، قال: من أنت؟ قال: الأحوص بن محمد. قال: ما أحسن شعرك! قال: أهكذا تقول لي، فوالله لأنا أشعر منك! قال: وكيف تكون أشعر مني وأنت تقول:**

يقرُّ بعيني ما يقرُّ بعينها ... وأفضلُ شيءٍ ما به العينُ قرتِ

فإنه يقر بعينها أن تنكح! أفيقرُّ ذاك بعينك؟!))[7]، يعتمد الحِجاج في هذا الخبر على فهم النص الشعري، والنفاذ الى بنيته العميقة التي مكّنت الفرزدق من رد حجة الاحوص مستعملاً بنية الاستفهام كبنية حجاجية استدلالية، تقوم على قراءة حجة الآخر وانشاء حجة منبثقة عنها لإثبات بطلان الحجة الأولى، كون الحجة التي طرحها الأحوص متمثلةً بالمقدرة على القول الشعري وجودته، على الرغم من اعجاب الفرزدق بشعر الاحوص لكن ما اثار حفيظة الاحوص ان الفرزدق لم يكن يعرفه، فجاء رد الفرزدق لإضعاف حجة الاحوص، وتفنيدها، وصولاً الى اسقاط حجة الاحوص بكونه اشعر منه.

يكشف هذا الخبر عن قيمة النص الحجاجي بوصفه نصاً مختلفاً ((من جهة هدفه الذي يمكن اعتباره دون ريب برهانياً فإذا كان قصده معلنا واستدلاله واضحا وأفكاره مترابطة فلأنه يحرص كل الحرص على الإقناع: إقناع المتلقي بوجهة نظره أو طريقته في تناول الأشياء، بل قد يحاول حمله على الإذعان دون

اقتناع))[8]، وهو ما تحقق للفرزدق من دون ان يذكر الخبر ذلك إلا أن تغيب هذا الامر في الخبر يدل عليه دلالة معنوية.

أمّا على مستوى الأقوال المأثورة، فقد جاءت الامثال غنية بالبنى الحجاجية، اذ توفر البنى المجازية القائمة على التمثيل والاستعارة بنى حجاجية عبر القياس والمقارنة بين حادثة المثل او قصته وبين ما يضرب له، يعضدها بذلك استدعاء النقيض، وتمثل الصورة المقابل لصورة المثل[9]، ففي المثل الآتي: ((**لا يدري الحو من اللو**))[10]، ويضرب((لمن لا يعرف الكلام الذي يُفهم من الذي لا يفهم))[11]، تتمثل حِجاجية المثل عبر ثنائية المعنى والتركيب، فمن جهة المعنى؛ يرتكز المثل في بنيته التصويرية على الاستعارة بنيةً تصويريةً عميقة تتكثف عبرها البنية الحجاجية، فمعنى عدم المعرفة بالسوق او الحبس يمثل حجة استدلالية تنسحب على مديات تعبيرية أوسع، تجعل المثل صالحًا للتمثل به لمن لا يعرف مغزى الكلام.

أما من جهة التركيب؛ فبنية النفي بوصفها((رد على اثبات فعلي او محتمل حصوله من قبل الغير))[12]، يجعل من نفي المعرفة حجة قائمة، تشمل زمني الخطاب الآني والآتي بدلالة حرف النفي(لا) الداخل على الفعل المضارع، وما فيها من دلالة نفي الزمنين الحاضر والمستقبل، وهذا يجعل من حجة عدم المعرفة حجة مستمرة باستمرار هذا النفي.

وقد ترتكز بنية الحجاج في الخطاب الادبي على دلالة القصر بالنفي والاستثناء، اذ يمنح هذا الأسلوب حجاجية اقناعية، وهذا ما نجده في الحكمة الآتية: ((**قال: وسمع هشام بن عبد الملك زيد بن علي يقول: "ما أحب الحياة أحد قط إلا ذل". قال: فخافه منذ سمع ذلك منه**))[13]، تعتمد الحكمة على الجملة الفعلية، وهي بدلالتها الحركية تحيل المتلقي الى تتبع الفعل واثره في الاخر، فيبرز فيها الفعل(يقول) بوصفه مركزها، اذ يؤثر فعل القول بإحداث السمع ومن ثمَّ إحداث الإخافة في نفس هشام، ثم تتكثف حجاجية الحكمة عبر محتوى القول المعتمد على أسلوب القصر بالنفي والاستثناء، فهي تكثف من حجاجيتها عبر الجمع بين النفي والاثبات، اذ تتجلى حجاجية النفي والاستثناء بكونه موجهًا الى نتيجة الاثبات[14]، فيكون المعنى وفقاً لهذه الآلية الحجاجية: حبّ الدنيا ذلٌ، وهو ما اثر في المتلقي/ هشام، فانشأ الخوف في نفسه.

ثانياً) المقصد التفسيري :

ارتبط النص الادبي بالتفسير بوصفه نفاذاً الى البنية التعبيرية له، وتفكيكها، وصولاً الى فهمه، واستجلاء مضامينه، لان النص واسطة بين الناصّ والمتلقي، وبهذا سيكون التفسير واسطة المتلقي للوقوف على ثيمات النص وحيثياته، ذلك ان((مهمة التفسير، في كثير من الكتابات، هي الاسهام في فهم النص، ووصفه من زاوية بنائه اللغوي والشكلي، ودراسة الوظائف المتداخلة لعناصره المتصلة بالمضمون او بالشكل، الذي يعتمد بعضها على بعض الآخر))[15]، فالوقوف على المعنى لابدّ له ان يمر خلال قناة التفسير التي توفر للمتلقي معرفة قصدية الناص وافكاره ودلالات نصّه، وهو على هذا ليس تأويلاً للنص بالشكل الذي يمدّ القارئ بقراءات عدةٍ، انما هو تفسير يضع النصّ على طاولة الوضوح[16]، وهذا ما قام عليه النقد الادبي في مراحله الأولى في عصر ما قبل الإسلام، فالنابغة يفسّر بيت حسان لغوياً ويؤسس رأياً نقدياً بناءً على هذا التفسير[17]، وهذا ما مارسه ثعلب في مجالس، إذ اقتصر جهده في مجالسه على تفسير الغريب اللغوي بالدرجة الأولى[18] .

يمنح ثعلب مجالسه بعداً تفسيرياً اعتماد على ما يختار من النصوص النثرية التي ضمنها مجالسه، وهذا ما نجده في الخبر الآتي: **وقال أبو العباس: قال أبو الحسن، عن بعض الأعراب قال: خرجت بنت معقِّر بن حمار البارقي بأبيها تقوده، وقد كان عمى فراحت عليه رائحة من روائح الصيف، فقال: يا بنية، انظري ماذا ترين؟ قالت: أرى سحماء عقاقة، كأنها حولاء ناقة، ذات هيدبٍ دانٍ، وسيرٍ وانٍ، قال: أجلسيني إلى أصل قفلة، فإنها لم تنبت قط إلا بمنجاة من السيل، قال أبو العباس: القفلة: ضرب من الشجر، سحماء، سوداء، عقاقة بالبرق، يشق شقا، والحولاء: ما يخرج من رحم الناقة إذا ولدت، والهيدب: مثل هيدب الثوب، تراه متعلقاً دون السحاب، وإن بطيء))**[19]. اذ يرتكز الخبر على عتبة أولى، تصف ما احسّ به الشيخ البصير، فينطلق منه الى تأسيس رؤيا تفسيرية لهذا الإحساس، فتغيّر الريح يستلزم تغيّراً في المناخ، وهو هنا باتجاه ماطر، ليطلب وصفاً لما كان الجو عليه، ثم ينتقل الخبر الى عتبة اخرى تصف الجو وتغيّراته، فتدخلت شخصية بنته لتصوّر هذا التغيّر في سياق تفسيري ينقل الصورة البصرية الى صورة ذهنية، ثم تعود هذه العتبة بصيغة طلبية مُسببَةً برؤية تفسيرية أخرى تُظهر ما ستؤول اليه هذه الصورة، وما

يتضح في طلبه اللجوء الى ربوة يمكنها ان توفر ملاذ آمناً عن السيل الآتي، لتنتهي عتبة التفسير الى ما فسره ثعلب تفسيراً لغوياً.

إذ قدم شرحاً للمعنى الذي جاءت عليه بعض الالفاظ وبالتالي تقديم انتاج للمعنى العام للنص، فينتقل من الخاص الى العام، من الدلالة المعجمية الى الدلالة الأدبية بصورتها الكاملة، وهذا ما يحقق أسس العملية التفسيرية القائمة على اضاءة علامات النص وتحديد معانيها الخاصة بالرجوع الى اطار مرجعي يوفر لبنية المعنى المفسر حضورها الإنتاجي الفاعل على مستوى الفهم[20]، ولهذا نجده يقف على دلالات الالفاظ المعجمية لمفردات النص(قفلة، سحماء، عقاقة، حولاء، هيدب)، باستحضار المعنى المتداول لهذه الالفاظ اطاراً مرجعياً للتفسير، ليمنح المجلس بعداً معرفياً قائماً على التواصل اللغوي بين زمنين مختلفين، ويبدو من تفسير ثعلب لهذه الالفاظ انها الفاظ قد غادرها الاستعمال اللغوي، وتأتي محاولته بتفسيرها توثيقاً لها وحفظاً، ومن الأمثلة الأخرى للخبر التفسيريّ: **((قال أبو العباس: ثنا ابن شبة، ثنا ابن عائشة قال: سمعت أبي يقول: كتب عبد العزيز بن مروان إلى ابنه عمر: أن تزوج بنت إبراهيم بن محمد بن طلحة. قال: فتزوجها، فكتب بذلك إلى أبيه، فكتب إليه: تزوج بنت عمها وأنت أنت. قال: فخطب إلى عمها ابن معمر بنته فزوجه. قال: وكان إبراهيم يدخل بين الخصوم، فقال عمر لبنته: قولي لأبيك يكف عن الدخول. قال: فكان لا يكف عن ذلك. قال: فدخل على ابنته فقال كيف: زوجك؟ قالت: بخير. قال: فكيف عيشك؟ قالت: تأتيني مائدة غدوة أصيب منها أنا ومن حضرني، وأخرى عشية أصيب منها أنا ومن حضرني. قال: أو مالك خزانة تعولين عليها إن لم يك مسلم بأضعاف ذلك؟ قالت: لا. فأرسل إليها ما يحمله الرجال أولهم عندها وآخرهم في السوق. فسأل عمر عن ذلك فأخبرته، فملأ خزانتها بعد))**[21].

يتخذ الراوي بعدًا تفسيريًا في الخبر، اذ يعمد الى اضاءة الشخصية السردية في الخبر، وهذا يتضح في قوله(قال: وكان إبراهيم يدخل بين الخصوم/ قال: فكان لا يكف عن ذلك)، وهي اضاءة تفسيرية تكشف عن معالم شخصية إبراهيم ومكانتها في المجتمع بكونه رجلًا مستحقًا لمصاهرة ابن الخليفة، فالراوي لم يكتفِ بوظيفته الروائية في سرد الخبر انما يتعداها الى تقديم صورة عن الشخصيات او الاحداث، اذ يوفر هذا التفسير رابطًا بين بينات الخبر السردية، فالراوي هنا بفعل قدرته السردية فطن الى ثغرات في الخبر يستدعي سدّها، فيستعمل لغة واصفة تحقق وظيفة التفسير في سياق المحكي[22].

أما على مستوى الاقوال المأثورة، فقد مارس ثعلب جهده التفسيري بإيضاح ما يُراد من هذه الاقوال، وبعبارة أخرى انتاج معانيها التداولية التي قيلت في سياقها، ونجد هذا في الاقوال الآتية: **((وأخبرنا أبو العباس قال: قال الأصمعي: قالوا: (لوى فلان عذاره عني). وإنما العذار للفرس والبعير. وقالوا: (لو جاريتني لجئت مضطرب العنان)، أي لو جاريتني لجئت مسترخى العنان، وإنما العنان للدابة. أي لو فاخرتني لاضطرب عنانك. ويقال (أتى فلانٌ فلاناً فما زال يفتل في ذروته وغاربه حتى صرفه) وإنما يفعل ذلك بالبعير إذا ختل ليصرف إلى شيء. ويقال ألقى حبله على غاربه والغارب للبعير. ويقال للرجل إذا جاء باغياً: (جاء يجر رسنه). ويقال (كلمت فلانًا بكلمة فذهبت جارة الرسن) إذا تسومع بها. ويقال (ما أوقع طائره) إذا كان ساكناً. و(فلان رخي اللبب) إذا كان في سعة يصنع ما شاء. والعرب تقول: (بعير أورق كأنه دخان الرمث)، هو أسود فإذا رفعت الريح شيئا من وبره رأيت تحته بياضا. وكذلك رماد الرمث، ترى في سواده بياضا. وأطيب لحوم الإبل لحم الورق))**[23]، وتظهر من مجموع هذه الاقوال المأثورة المقصد التفسيري الذي اعتنى به ثعلب في مجالسه، ليربط بين الخبر والاقوال المأثورة وسياقه التفسيري وبين انتاج دلالاته المعرفية التي توفر بعداً تعليماً وتوثيقياً.

ثالثا) المقصد الاشهاري:

يرتكز مفهوم الاشهار على العلاقة بين النص والمتلقي، وطريقة استثمار الكاتب هذه العلاقة وتوظيفها بالاتجاه الذي يخلق من النص إشارات تجذب تفاعل المتلقي واهتمامه، وهو على هذا يتضمن ((عملية اتصالية بين طرفيين أساسيين، مرسل منتج، ومتلقٍ مستهلك))[24]، تستحضر هذه العملية اللغة بما تختزن من طاقات تعبيرية تمثل ادوات اقناعية لتحقق وظيفة النص الاشهاري المتمثلة بالتأثير والتوجيه[25]، وهذا يستدعي ان يُبنى النص الاشهاري بناءً تركيبيًا توظف فيه أساليب اللغة لإنتاج دلالات اقناعية، يأخذ بها المتلقي مركزية النص، وبهذا تتحقق وظيفة النص الاشهاري.

وعلى وفق هذا الأساس، نجد المقصد الاشهاري حاضراً في مجالس ثعلب، ويتضح هذا في الخبر الآتي: **((وحدثنا أبو العباس ثنا عمر بن شبة، ثنا ابن عائشة قال: سمعت أبي قال: قال طاوس: رأيت على بن الحسين ساجداً في الحجر. فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيب، لأسمعن ما يقول. فأصغيت إليه فسمعته يقول: عبدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك. فوالله ما دعوت بها في كرب**

قط إلا كشف عني))[26]، يرتكز الخبر على اكثر من عتبة اشهارية، اذ تمثل شخصية الامام السجاد(8) عتبة اشهارية أولى بصلته بالرسول الاكرم(9)، فضلاً عن مجموعة من العبارات المكثفة دلالياً لإنتاج البنية الاشهارية للنص، اذ تمثل(رجل صالح من أهل بيت طيب، لأسمعن ما يقول. فأصغيت إليه فسمعته) مجموعة من الآليات الاشهارية النصية، تتمثل بالبنى الاسنادية المتمثلة بـ(رجل صالح من اهل بيت طيب)، ثم اعتماد بنية اشهارية أخرى تتمثل بالتوكيد كفعل انجازي تتشكل فيه دلالات اشهارية في(لأسمعنَّ)، ثم يرتفع الخبر الى البنية التأثيرية المتمثلة بـ(اصغيتُ اليه فسمعته)، ثم في(فوالله ما دعوت بها في كرب قط إلا كشف عني) المصدرة بالقسم، إضافة الى اشهارية البنية المكانية في الخبر المتمثلة بـ(الحِجر) بما يمثله من مكان مقدس، وكل هذه البنى تظافرت لإنتاج اشهارية الخبر.

ويمكن لنا ان نقف على نص اخباري آخر، يتضح فيه المقصد الاشهاري الذي وظفه ثعلب في اختيار اخباره في مجالسه، يقول الخبر: **((حدَّثنا أبو العباس، حدثني عبد الله بن شبيب أبو سعيد، عن زبير قال: حدَّثني أبو غزية، وعبد الجبار بن سعيد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه زيد بن ثابت، أن حسان بن ثابتٍ قال في مقتل المنذر بن عمرو يرثيه:**

صلّى الإلـــهُ على ابنِ عمروٍ إنَّه ... صدقَ الإلـــهُ وصدقُ ذلكَ أوفقُ

قـــــــالوا لهُ أمرانِ فاختزْ منهُما ... فاختارَ في الرأي الذي هوَ أرفقُ

قال زبير: قال أبو غزية: لحسان بن ثابت مواضع: هو شاعر الأنصار، وشاعر اليمن، وشاعر أهل القرى وأفضل ذلك كله هو أنه شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مدافع))[27]، يجعل النص من حسان بن ثابت ايقونة اشهارية قائمة على جمل خبرية اسنادية مصدرة بجملة انجازية تتمثل بالتوكيد الذي ادته(لام) الابتداء في قوله(لحسان)، ثم يقف هذا التقسيم القائم على تعدد فضائل حسان، وتدرجها بين النوعي والجغرافي والديني، فانتقل من الجزء النوعي(شاعر الانصار) وما فيه من دلالة الهجرة في سبيل الله تعالى مع الرسول(9)، ثم الجغرافي المتمثل بـ(شاعر اليمن، شاعر القرى) وما تتضمنه من دلالة على الفصاحة ونقاء اللغة، ليختتم هذه الفضائل بكونه شاعر الرسول الاكرم (9)، والنص يتنوع بين اشهارية شخصية حسان الشاعر واشهارية النص المعتمدة على اللغة وتوظيف اساليبها لإنتاج نصٍّ اقناعيٍّ يدفع المتلقي الى التأثر به، قراءة ورواية.

وهذا ما اعتمد عليه ثعلب في اختياره جملة من النصوص الاشهارية للإفادة من وظائفها الاقناعية التي تستند الى توظيف اللغة وإنتاج دلالاتها المؤثرة بالمتلقي، ويتمثل هذا في الامثال التي أوردها في مروياته، ففي المثل الآتي: **((قال: وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أكلتنا الضبع، فدعا لهم. وهي السنة المجدبة الشديدة))**[28]، فالمثل في هذه المروية هو في قولهم(أكلتنا الضبع)، وتأتي قوة الاشهار في هذا المثل عبر قصته، اذ تحتل شخصية الرسول الكريم(9) قوة اشهارية تمنح المثل تداولًا اكبر، سيما وان دلالة(الضبع) تدفع المتلقي الى تأمل هذه اللفظة، فليس المقصود منها الحيوان، انما المقصود بها السنة المجدبة[29]، فالكناية التي توفرت في المثل والمرجعية التاريخية التي وفرتها قصته، والحالة التي وصفها وهي حالة الجوع والامحال، فضلًا عن استعماله في حيّز ادبي شعري[30]، وهو ما وفّر للمثل قوة اشهارية.

ويتضح في المثل الآتي: **((هو أعدى من الذئب))**[31]، اذ تتضح قوة المثل الاشهارية في البنية اللغوية القائمة على اسم التفضيل(اعدى)، بما يحمل من دلالة المفاضلة بين رمز من رموز الصحراء، قد ألف العرب وجوده، واشتهر بصفة السرعة او الشراسة، حتى اتخذ الذئب صورًا شتى في ادبيات العرب قبل الاسلام[32]، فالمثل اذ يصوّر صفة محسوسة اعتمادً على حيوان من اكثر الحيوانات التصاقًا بحياة العربي في الصحراء، فانه يمثل قوة اشهارية نلمح فيها مقصدًا في نقله وايراده.

رابعاً) المقصد الوعظي:

يشكل الخطاب الوعظي في مجالس ثعلب مقصداً في اختيارات الاخبار والاقوال المأثورة، بما له من خصوصية متميزة، فالخطاب الوعظي خطاب يرتكز على توظيف اللغة لإنتاج سياقات لغوية تعتمد بنيتي الترغيب والترهيب، تؤثر في الآخر عبر استهداف الوجدان والقلوب فيدفعها باتجاه الخير وكبح جماح النفس[33] ، وهو بهذا يعتمد النصح والإرشاد لتحقيق غايته الاقناعية القائمة على منفعة الآخر واعتداله واستقامته بالشكل الذي يجعل من الخطاب الوعظي خطاباً اجتماعياً، وهذا ما وُظفَ مقصدياً في مجالس ثعلب، ونجده في الخبر الآتي: **((أخبرنا محمد قال، وأنبأنا أبو العباس ثنا ابن عائشة، ثنا سعيد بن عامر، قال: وشم داود عليه السلام خطيئته في كفه، فما رفع فيها طعاما حتى يشوبه بدموعه))**[34]، يقدم النص بنية وعظية عبر توظيف الأسلوب الخبري باستحضار ثيمات(الخطيئة/الندم)، فالشخصية النبوية المتمثلة بالنبي داود(8) تمنح الخبر بعدًا وعظيًا انطلاقًا من وظيفة الأنبياء في وعظ الناس وهدايتهم، بما يمثله فعله

من أداة يتشكل فيها الترهيب والترغيب، فالوشم دلالة التذكر، والدموع دلالة الندم، وكلامها يتظافران لإنتاج بنية الخبر الوعظي.

وفي موضع آخر من المجالس نقرأ الخبر الآتي: **((حدثنا أحمد بن يحيى النحوي المعروف بثعلب قال: حدثني الفضل بن سعد ابن سالم قال: كان رجل يطلب العلم فلا يقدر عليه، فعزم على تركه، فمر بماء ينحدر من رأس جبل على صخرة قد أثر فيها، فقال: الماء على لطافته قد أثر في صخرة على كثافتها، والله لأطلبن! فطلب فأدرك))**[35]، يوضح الخبر الخطاب الوعظي في سياق تصويري، فيبيّن صورة تأثير الماء في الصخرة الصلدة، وما يقارنه بصورة طلب العلم ومشقاته، فالفعل الذي يؤديه الماء بحفر ما يسقط عليه مهما كانت قوته، يجعل المتلقي يتمثل البعد الوعظي الذي يتشكل نصحاً وارشاداً عبر عبارة الرجل في ذيل الخبر .

ففي الخبر الذي يقول: **((وحدثنا أبو العباس، ثنا عبد الله بن شبيب، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال حدثني سعد بن عمرو، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة في الجاهلية، وهو يقول: يا معشر قريش، إياكم والزنى، فإنه يورث الفقر))**[36]، يقف النص على عتبات اشهارية متعددة ومتظافرة ومتنوعة بين الأيقونة والنصية اللغوية، فعلى صعيد الشخصية، يقدم النص راوية الخبر(أسماء بنت ابي بكر) شخصية مركزية بوصفها راوية ورائية، وهي بما لها من قيمة تاريخية فإنها تمثل البعد الاشهاري الأيقوني في النص، ثم ينتقل النص الى توظيف آخر لأيقونة مقدّسة، حين يستحضر البنية المكانية المقدسة المتمثلة بجدار الكعبة، لينتقل النص الى البنى النصية كعتبات اشهارية تمنح النص اقناعيته وقوته الانجازية عبر الاعتماد على بنية الوعيد المستندة الى بنية النداء، فالحوار الذي تنتجه بنية النداء بوصفها خطاباً موجهاً للمتلقي يسهم بامتلاك النص للقيمة الاشهارية، ثم تأتي بنية الوعيد والتحذير القائمة على الضمير المنفصل(اياكم) بصيغة الخطاب الجمعي الاقناعي المستند الى التأثير المعاكس بالمتلقي، وما بعده من فعل شائن محرم دينياً واجتماعياً بوصفه تعدياً على المثُل الأخلاقية والدينية، فضلاً عن تأثيره الذي يوصل الآني بالمستقبل عبر الفعل(يورث) بدلالته على الاتصال والاستمرار.

إلا اننا نجد في خبر آخر، تتشكل بنية الوعظ فيه باستعمال أسلوب التحذير، ففي الخبر الآتي: **((قال: وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص: قد رايتك تعجب بالشعر، فإذا فعلت فإياك والتشبيب بالنساء، فتعرِّ الشريفة، وترمى العفيفة، وتقرَّ على نفسك بالفضيحة. وإياك والهجاء. فإنك تحنق به كريماً، وتستثير به لئيماً. وإياك والمدح، فإنه كسب الوقاح، وطعمة السؤال. ولكن أفخر بمفاخر قومك وقل من الأمثال ما تزين به نفسك وشعرك، وتؤدب به غيرك))**[37]، يرتكز الخطاب الوعظي في هذا الخبر على ثنائية التحذير/الترغيب، فبنية التحذير بالضمير المنفصل(إيّاك)، ثم بنية الترغيب التي تتمثل بفعل الامر(افخر/قل)، لتؤسس اثاراً اجتماعية عبر انطلاقها باتجاهات مختلفة تحيل اليها الفاظ (التشبيب/الهجاء/ المدح) عبر بنية التحذير عن هذه الأفعال، اذ نلمح فيه أثراً دينياً واجتماعياً على التشبيب، بينما تتشكّل في الهجاء اثارٌ اجتماعية عامة، بينما نجد في المديح اثرًا فرديًا، ثم الترغيب عبر بنية فعل الامر بـ(الفخر بمفاخر القوم/ قول المثل الجيد) الذي يستوعب البعد الجمعي عبر التغني بمفاخر القبيلة، فيما نلحظ البعد الفردي في قول الامثال بوصفها تزيّن القول وتؤدب النفس.

ولم يقتصر هذا المقصد على الاخبار فقط، بل تعداه الى الاقوال المأثورة متمثلة بالحكمة، فقد احتوت مجالس ثعلب على غير حكمة خطاباً وعظياً وله اثار اجتماعية، ففي حديث عبر الخاصة الى العامة، تأتي الحكمة: **((وحدثنا أبو العباس، ثنا زبير، حدثني مبارك الطبري قال: سمعت أبا عبيد الله يقول: سمعت أمير المؤمنين المنصور يقول لأمير المؤمنين المهدي: يا أبا عبد الله، لا تبرمنَّ أمراً حتى تفكر فيه، فإن فكرة العاقل مرآة تريه قبيحه وحسنه))**[38]، تستعمل الحكمة أسلوب النهي لتحقيق الخطاب الوعظي القائم على الاقناع، اذ يؤسس السياق لفكرة التمعن في الفكرة قبل طرحها، لما له من اثر في صحتها وقوتها واقناعيتها بالنسبة للآخر ، والحكمة اذ تخاطب الخاصة ، فإنها تنفذ عبر هذه المنظومة الى العامة لتكون دليلاً سلوكياً .

الخاتمة :

1- إنّ المقصد الحِجاجي في مرويات ثعلب التي ضمنها في مجالسه قد جاء متعدد الصور عبر تعدد صيغه اللغوية بين النفي والاثبات او الاستفهام التي توفر موجّهات حجاجية توقع في المتلقي تأثيرًا ملحوظًا

ينتج عنه تحقق غائية الخطاب، او الاعتماد على الدلالة الحجاجية الكامنة في الفنون البلاغية والقائمة على المطابقة او المقارنة، تدفع المتلقي الى تمثلها وقياسها على ما تصدق عليه هذه البنى.

2- إنّ تتبع هذا الجهد التفسيري في مجالس ثعلب يجعلنا نقف على قصديته بالوقوف على الوظيفة الدلالية للأدب وقيمته بوصفه كاشفاً عن أساليب التفكير وطريقة تناول النصوص، وما يختمر تحتها من بُنى لغوية وفكرية ومعرفية يمكن ايضاحها عبر تفسير بناها اللغوية.

3- استوعبت النصوص البُنى الاشهارية سواء في الاخبار او الاقوال المأثورة ولا سيما الامثال عبر ثيمات الأسماء التي انشأتها او الاحداث السردية التي تتشكل فيها قوة تأثيرية في المتلقي، فتدفعه الى تداول المروي، او انها تصف حالة ما لصيقة بحياة العربي، فضلًا عن المرجعية التاريخية الكامنة في النصوص الاشهارية، كلها ملامحٌ تكشف قصدية ثعلب في اختياره مادة من مواد مجالسه.

4- إنّ القصد الوعظي الذي اشتملت عليه الاخبار والاقوال المأثورة في مجالس ثعلب يكشف عن الرغبة في تنويع الأهداف والوظائف التي جُمعت من اجلها هذه المجالس، فإلى جانب المقاصد المتقدمة فقد شكّلت منظومة متداخلة بعضها ببعض، لإثارة المتلقي وتحفيزه على التفاعل وتمثل المعاني والمقاصد، وتوظيف القراءات الواعية التي تجعل من المجالس ومادتها مادة معرفية فاعلة على مستوى التأثير في الاخر وبالنتيجة التأثير في البنية الثقافية والفكرية.

الهوامــش :

1 .ينظر: لسان العرب(حجج): 228/2.

2. ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب(عن كتاب نحو المعنى والمبنى)، بارتيك شارودو، ترجمة: احمد الودرني: 16.

3. التواصل والحجاج، عبد الرحمن طه : 6.

4. الثفل: (وهو ما رسا من الخثارة)، مقاييس اللغة: 380/1، وينظر: تاج العروس: 154/28.

5. مجالس ثعلب: 10.

6. استراتيجية الحجاج التواصلي في عهد امير المؤمنين(ع) لمالك الاشتر مقاربة تداولية، د. على كاظم الملاوي، د. كريمة نوماس المدني، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ط1، 2017م: 17.

7 . مجالس ثعلب: 434.

8 .الحجاج في الشعر العربي(بنيته وأساليبه): 25.

9. ينظر: الحجاج الجدلي: 55.

10. مجالس ثعلب: ق37/1، والحو: الحق، اللو: الباطل، ينظر: لسان العرب: 208/14، وايضاً الحو: سوق الإبل، واللو حبسها، ينظر: الامثال، ابن رفاعة: 222/1.

11. مجالس ثعلب: ق37/1؛ وينظر: المزهر في علوم اللغة: 388/1.

12. تقنيات الحجاج في كتاب(حوار مع صديقي الملحد): 411.

13. مجالس ثعلب: ق348/2.

14. ينظر: الحجاج في كلام الامام الحسين (ع) ، عايد جدوع حنون ، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة البصرة ،2013 : 75.

15. حول اهمال الوظيفة الاجتماعية للتفسير في دراسة الادب، هورست شتاينمتز، ترجمة: مصطفى رياض، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الثالث، 66/1.

16 .ينظر: في النص وتفسير النص، صدوق نور الدين، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء القومي، بيروت، العدد: 67-77، 1990م: 24.

17. ينظر: البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ: 146.، والنظرية النقدية عند العرب، د. هند حسين طه:40.

18 . ينظر: تاريخ النقد الادبي عند العرب، د. احسان عباس: 83.

19. مجالس ثعلب: ق597/2-598، وينظر: ق261/1.

20 .ينظر: حول اهمال الوظيفة الاجتماعية للتفسير في دراسة الادب: 68.

21. مجالس ثعلب: ق166/1.

22 . ينظر: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية(دراسة في نقد النقد)، محمد عزام: 331.

23 .مجالس ثعلب: 122.

24. الخطاب الاشهاري في النص الادبي، دراسة تداولية، مريم الشنقيطي: 14.

25. ينظر: في مفهوم الاشهار، د. هامل شيخ ، مجلة رؤى فكرية ، مخبر الدراسات اللغوية والادبي ، العدد الأول ، 2015م: 30 .

26. مجالس ثعلب: 394.

27. المصدر نفسه: 361.

28. المصدر نفسه: ق201/1.

29. لسان العرب: 217/8.

30 .ديوان عباس بن مرداس: 106.

31 .مجالس ثعلب: ق2/ 469.

32 .الدلالة الرمزية لصورة الذئب في الشعر الجاهلي، دراسة سيميائية: 2350 وما بعدها.

33. ينظر: الخطاب الوعظي، مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه، عبد الله بن رفود السفياني: 32.

34. مجالس ثعلب: 18.

35. المصدر نفسه: 141.

36. المصدر نفسه: 219.

37 . المصدر نفسه: 411.

38. المصدر نفسه: 187؛ وللمزيد ينظر: 187، 188.

المصادر والمراجع:

أولاً- الكتب المطبوعة:

- استراتيجية الحجاج التواصلي في عهد امير المؤمنين(ع) لمالك الاشتر مقاربة تداولية، د. على كاظم الملاوي، د. كريمة نوماس المدني، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ط1، 2017م.
- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، (584هـ)، تحقيق احمد احمد بدوي وآخرون، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، (د.ط)، (د.ت).
- تاريخ النقد الادبي عند العرب، د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1983م.
- تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية(دراسة في نقد النقد)، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2003م.
- التواصل والحجاج، عبد الرحمن طه، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2002م.
- الحجاج بين النظرية والأسلوب(عن كتاب نحو المعنى والمبنى)، بارتيك شارودو، ترجمة احمد الودرني، دار الكتاب المتحدة، بيروت، ط1، 2009م.
- الحجاج الجدلي خصائصه الفنية وتشكلاته الإجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي، عبد الله البهلول، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، ط1، 2013م.
- الحجاج في الشعر العربي(بنيته وأساليبه)، د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2011م.
- الخطاب الاشهاري في النص الادبي، دراسة تداولية، مريم الشنقيطي، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ط1، 1440هـ.
- الخطاب الوعظي، مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه، عبد الله بن رفود السفياني، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2014م.
- ديوان عباس بن مرداس، تحقيق: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412هـ- 1991م.
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(ت711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

– مجالس ثعلب، أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب(291هـ)، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط2، 1960م.

– النظرية النقدية عند العرب، د. هند حسين طه، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة العراقية، (د.ط)، 1981م.

ثانياً– الرسائل والأطاريح:

– الحجاج في كلام الامام الحسين (ع) ، عايد جدوع حنون ، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة البصرة ،2013م .

ثالثاً– البحوث :

– تقنيات الحجاج في كتاب(حوار مع صديقي الملحد)، د. محمود حمزة محمد، مجلة كلية الآداب للغويات والثقافات المقارنة، كلية الآداب، جامعة الفيوم، الملجد12، العدد2، 2020م.

– حول اهمال الوظيفة الاجتماعية للتفسير في دراسة الادب، هورست شتاينمتز، ترجمة مصطفى رياض، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الثالث، 2012م.

– الدلالة الرمزية لصورة الذئب في الشعر الجاهلي، دراسة سيميائية، صابر إسماعيل بدوي، مجلة الدراسات العربي، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، المجلد 38، العدد 5، 2018م.

– في مفهوم الاشهار، د. هامل شيخ، مجلة رؤى فكرية، مخبر الدراسات اللغوية والادبي، العدد الأول، 2015م.

– في النص وتفسير النص، صدوق نور الدين، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء القومي، بيروت، العدد 67–77، 1990م.